

مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

العدد الثاني والخمسون - يونيو 2012

البيداغوجيا الفارقية أداة لتحسين جودة التعليمات

حياة شتواني

أستاذة باحثة في الأدب العربي وعلوم التربية

تكتسي البيداغوجيا الفارقية (Pédagogie Différencié) إلى جانب المقاربات البيداغوجية النشيطة الأخرى، أهمية خاصة في منظومة التربية والتكوين، لما تشكله من تصور متقدم لطرائق التدريس، ولما تقدمه من إمكانات لتحسين المردودية التعليمية التعليمية، ومحاربة التعتروالفضل الدراسي، ودمقرطة الفعل التعليمي التعليمي من خلال المساهمة في تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين المتعلمين. كما أنها تعد شرطا ضروريا من شروط بناء الكفايات

وتطويرها لديهم، ووسيلة لاسترجاع بريق المدرسة والثقة فيها والرفع من قيمتها. وبالرغم من ذلك يلاحظ المتتبع للفعل التربوي أن هذه البيداغوجيا لم تستنبت بعد في حقلنا التربوي، إذ إن معظم المدرسين يضربون عنها صفحا، ويطوون عنها كشحا في ممارساتهم الفصلية إلى درجة النفور والمقاومة؛ فلا يتعاملون مع المتعلمين في الفصل الواحد بشكل فارق، بل ينظرون إليهم ككتلة واحدة متجانسة. مما ينعكس سلبا على جودة التعليمات، ويقلل من فرص النجاعة البيداغوجية، ويفضي إلى ما يمكن تسميته بالخسارة التربوية.

فما مفهوم البيداغوجيا الفارقية؟ وما هي الفروق الفردية بين المتعلمين؟ وما أهداف هذه المقاربة البيداغوجية؟ وما هي إجراءات اشتغالها ميدانيا؟.

1- مفهوم البيداغوجيا الفارقية:

استخدم هذا المفهوم لأول مرة سنة 1973م مع المربي والمناضل الفرنسي « لويس لوغران» Louis Legrand في سياق البحث عن آليات جديدة لتطوير التدريس، ومحاربة ظاهرة الفشل

المدرسي. وقد عرف « لوغران » البيداغوجيا الفارقية بأنها «طريقة تربوية تستخدم مجموعة من الوسائل التعليمية قصد مساعدة الأطفال المختلفين في العمر والقدرات والسلوكات، والمنتمين إلى فصل واحد على الوصول بطرق مختلفة إلى الأهداف نفسها».(1)

ونستشف من هذا التعريف أن البيداغوجيا الفارقية أسلوب بيداغوجي:

-يقوم على مبدأ تنوع الطرق والوسائل التعليمية التعليمية.

- يأخذ بعين الاعتبار تنوع المتعلمين واختلافهم من حيث السن والقدرات والسلوكات.

- يتسم بخصوصيته التفريدية للمتعلم، ويعترف بالتلميذ كشخص له إيقاعه الخاص في التعلم وتمثلاته الخاصة.

- يفتح المجال لجميع المتعلمين في الفصل الدراسي الواحد، لبلوغ الأهداف المنشودة بدرجة متساوية أو ملائمة.

ومعنى هذا أن هذه المقاربة تؤمن بوجود فروق فردية بين المتعلمين، وتكيف عملية التعليم والتعلم حسب خصوصياتهم، بغية جعل كل فرد داخل الفصل يحقق الأهداف المحددة له.

2- نماذج من الفروق الفردية:

لا مشاحة أن الاختلاف بين الناس أمر

طبيعي وفطري، ولا يمكن أن نجد إنسانا يشبه إنسانا آخر في كل شيء. ولو تحقق ذلك لفسدت الحياة ولفقدت حيويتها. وقد بينت العديد من الدراسات النفسية وبخاصة في مجال علم النفس المعرفي أن الأفراد يختلفون في قدراتهم التحصيلية ووتائر تعلمهم ؛ فلا وجود لتعلمين على حد تعبير « بيرنس » يتقدمان بنفس السرعة في تعلمهما، ويستعملان تقنيات الدراسة نفسها، ويحلان المشاكل بالطريقة نفسها، ويمتلكان قائمة السلوك نفسها. فهناك مثلا من الأطفال من يتعلم القراءة والكتابة بوتيرة سريعة، ومنهم من يجد صعوبة في اكتساب هذه القدرات، ويحتاج لوقت أطول وإيقاع بطيء للتمكن من ناصيتها. لذلك كان من العبث كما يقول «فيليب ميريو» أن ننتظر من جميع التلاميذ النتائج نفسها.(2) ويعزو ذلك إلى وجود فروق فردية فيما بينهم، يمكننا أن نلمس مظاهرها فيما يأتي:

- الفروق المعرفية والذهنية : مثل التمثلات، وأنماط التفكير، والقدرات الفكرية ؛ كالإدراك والاستيعاب والتذكر والتفكير...

- الفروق السيكلوجية، وتشمل: القدرة على التكيف، والرغبة والدافعية، والاهتمامات والاستعدادات، الميولات، وصورة المتعلم عن ذاته، والسمات المزاجية ؛ كالانطواء والخجل والجرأة والانفعال والاندفاع والرصانة.

- الفروق السوسيو ثقافية : وترتبط بالوسط الاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه

الطفل. مثل: الفروق في العلاقة بالمدرسة والأساتذ، والفروق في القيم الضابطة للسلوك، والمعتقدات السائدة، والتاريخ الثقافي للأسرة، ومختلف قنوات التنشئة الاجتماعية.

وثمة عوامل مؤثرة في هذه الفروق الفردية مثل: العوامل الوراثية، والبيوفيزيولوجية والبيئية؛ فقد برهنت مثلا أعمال «بازل برنستين» Basil Bernstein أن الأطفال المنحدرين من أوساط اجتماعية ثقافية محظوظة، يمتلكون رصيذا لغويا متطورا من حيث ثراء المعجمية والصيغ، في حين نرى أن أترابهم المنحدرين من أوساط اجتماعية ثقافية غير محظوظة يفتقرون إلى هذا الزاد اللغوي، مما لا يساعدهم في أغلب الحالات على النجاح في دراستهم.

ومهما كانت العوامل المؤثرة في هذه الفروق، فالمدرس مدعو لمراعاتها وتكييف أساليب التدريس وطرائقه وأدواته المتاحة مع خصوصيات المتعلمين، من أجل ضخ الحياة في العملية التعليمية التعلمية، وإنقاذها من السقوط في النمطية التي قد تولد لدى المتعلمين الملل والنفور من التعلم. لكن هذا لا يعني أن على المدرس أن يكون موسوعيا يتعمق في معرفة مختلف مظاهر حياة التلاميذ السيكلوجية والطبية وغيرها، وأن يقضي معظم الوقت في تحليل تلاميذه وفحصهم بمختلف أدوات القياس والاختبار. إن المقصود هو أنه إذا كان بإمكانه القيام ببعض هذه المهام نظرا لاحتكاكه اليومي

بالتلاميذ، وملاحظته لسلوكهم داخل القسم، فإن عليه أن يستعين بالمختصين في التشخيص النفسي والتوجيه التربوي والمهني، والذين ينبغي توفرهم مبدئيا في جميع مؤسسات التعليم. وعليه أن يناقش مختلف الحالات والتي تعاني من صعوبات خاصة، مع أولياء أمور التلاميذ، وأن يكون في مقدوره مراجعة ملفاتهم، ليتعرف على مختلف المعوقات التي قد تعترض السير العادي لعملية التعلم.⁽³⁾

ولا بد من التأكيد في هذا المقام كما ذهب الدكتور أحمد أوزي على ضرورة اهتمام المسؤولين والفاعلين التربويين بالبعد الإنساني في العملية التعليمية، وعدم التركيز فقط على جوانبها المادية؛ كالتجهيز والبناء وتوفير الكتب المدرسية. فمؤسساتنا التعليمية على اختلاف مستوياتها وأنواعها لم تعرف بعد الخدمات النفسية للتلميذ، مع أنه في مختلف مراحل الدراسة من الروض إلى الجامعة، بحاجة إلى مساعدة لتدليل الصعاب التي تعترضه في حياته الدراسية. وبغير هذه المساعدة الإنسانية، فإننا نجعل شخصية وتكوينه، ونتعامل معه كما لو كان آلة صماء.⁽⁴⁾ مما قد يؤثر سلبا على مستوى تحصيله الدراسي.

3- أهداف البيداغوجيا الفارقية؛

تروم بيداغوجيا التفريق تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

- الحد من ظاهرة الفشل المدرسي، والتقليص من ظاهرة الهدر التي ذرت بقرنها

في منظومتنا التعليمية لتعرقل ما رافقها من إصلاحات.

- ردم الفوارق الفردية بين المتعلمين، وتحقيق مبدأ المساواة فيما بينهم.

- تطوير نوعية المخرجات.

- جعل التعليم يتكيف مع حاجات المتعلمين ومصالحهم، وقد أكد جميع البيداغوجيين ذلك، يقول « لويس لوغران»: (إن البيداغوجيا المتميزة التي أقترح هي التي يجب أن تكيف المناهج والبرامج مع واقع التلاميذ المتعلمين». (5).

- تنمية المهارات الشخصية للمتعلم مثل الثقة بالنفس والاستقلالية وتحمل المسؤولية.

- إذكاء روح التعاون لدى المتعلمين، وتدريبهم على التواصل الاجتماعي وقبول الاختلاف.

- جعل العملية التعليمية التعلمية تنبض بالحركة وتتدفق بالحياة.

- إكسابهم الكفايات الأساس التي تجعلهم قادرين على توظيفها في حياتهم العامة.

- تشجيع التعلم الذاتي، وجعل التلميذ فاعلا في بناء الدرس والمعرفة.

- تحسين العلاقة التي تربط بين المدرس والتلميذ، مما يسعف على خلق فضاء مدرسي مريح وآمن، يشعر فيه المتعلم بالارتياح والرغبة في التعلم. كما أن ذلك يتيح تجنب

كثير من السلوكيات غير المرغوب فيها داخل الفصل، والتي تعرقل سير الدرس، مثل: الشغب الذي اشتد عوده وصلب في السنوات الأخيرة، والعنف بمختلف أشكاله الذي أضحى لكثير من التلاميذ مرتادا يفزعون إليه، وملاذا يخفون به فشلهم الدراسي.

4- إجراءات اشتغال البيداغوجيا

الفارقة:

إن تفعيل البيداغوجيا الفارقة وإرساءها داخل الفصل الدراسي ليس عملية بسيطة الإنجاز، بل يستلزم تعاون كل الأطراف المعنية، واتخاذ عدد من الإجراءات التواصلية والعملية التي يمكن تصنيفها إلى إجراءات ما قبل التنفيذ البيداغوجي، وإجراءات التنفيذ البيداغوجي.

- إجراءات ما قبل التنفيذ البيداغوجي:

قبل تشغيل هذه البيداغوجيا في الفصل الدراسي، يجدر بنا أولا اتخاذ بعض التدابير الضرورية حتى تكون عملية أجزائها ميسرة التناول، مفتوحة المسارب أمام أعيننا. ومن هذه التدابير:

- إعلام الأطراف الأساس للعملية التربوية: مثل أطر الإدارة التربوية، وهيئة التدريس، وأطراف الإشراف التربوي، والتلاميذ، وأولياء أمورهم.

• أطر الإدارة التربوية: لا يمكن إنجاز هذا الفعل البيداغوجي بدون إشراك رئيس

المؤسسة وطاقمه، لما لهما من دور في تسهيل عمل المدرسين والتلاميذ المعنيين، وتوفير الوسائل التعليمية الضرورية، والحجرات الدراسية اللازمة.

• **هيئة التدريس:** يشكل المدرس أحد الأقطاب الثلاثة للمثلث الديدائكتيكي، لذلك يظل حاضرا في كل مراحل هذا الفعل البيداغوجي تخطيطا وإنجازا وتقويما وتعديلا. وتراعى في اختياره جملة من المواصفات؛ كأن يكون مشهودا له بالكفاءة العالية والحماس والجدية والمواظبة وتحمل المسؤولية والتسيير الجيد للفصل.

• **أطر الإشراف التربوي:** يتولى المشرف التربوي لكل مادة من المواد المعنية تتبع سير هذه العملية ميدانيا، وتقويم الأداء التربوي للمدرسين، وتقديم المساعدة الضرورية. وهو مطالب بتوفير قدر مناسب من الحرية والاستقلالية للممارس التربوي بشكل يسمح له بالاجتهاد في الإعداد للدرس والتخطيط له، ويسعفه على أداء مهمته على الوجه المطلوب. وكل ذلك رهين بكفاءة المشرف التربوي ومصداقيته وتحمسه للمشروع.

• **التلاميذ:** يشكلون قلب المنظومة التربوية وقطب رحي هذا الفعل البيداغوجي، لذلك فإخبارهم به أمر ضروري. ويتولى رئيس المؤسسة والمدرسون تحسيسهم بأهميته في تحسين تحصيلهم الدراسي وتحقيق النجاح، بغية تهيئتهم للانخراط فيه بحماس.

• **أولياء الأمور:** ينبغي إشعارهم بهذه العملية. وتوضيح غاياتها وأهدافها، لقدرتهم على التأثير الإيجابي في أبنائهم، ومساعدة المدرسين في معالجة تعثرات التحصيل الدراسي لديهم.

وفي ضوء ما سبق، يتبين لنا أن البيداغوجيا الفارقية عملية رهينة بتظافر جهود الأطراف المعنية، واستعدادها للانخراط الجماعي في سيورة العمل بها.

وثمة إجراءات أخرى ينبغي القيام بها قبل أجرأة هذه العملية على صعيد الفصل الدراسي، وهي:

- انتقاء الأقسام والمواد المعنية بهذه البيداغوجيا. ويستحسن أن تطبق في البداية على المستويات غير المعنية بالامتحانات الإشهادية، ليتم تعميمها بعد ذلك على باقي المستويات.

- وضع جداول توقيت تتسم بنوع من المرونة بحيث تتلاءم مع هذه البيداغوجيا؛ لأن جداول التوقيت التقليدية تقف حاجزا أمام تطبيقها، إذ تعرقل التعلّقات وتحصرها في وقت محدد.

- توفير الحجرات الدراسية اللازمة: ليس من الضروري إحداث حجرات دراسية جديدة، وإنما الأمر يقتصر على استغلال ما هو متاح من الحجرات بالطريقة التربوية العقلانية.

ب - إجراءات التنفيذ البيداغوجي:

ونعني بها مجموعة من الممارسات

المدرس في نوع من التعاقد البيداغوجي مع التلميذ ومع أسرته، لإطلاعهم على الصعوبات التي تعترض المتعلم، والتعثرات التي يعاني منها، وبخاصة إذا تبين للمدرس أن ثمة عوامل خارجية تعرقل اكتساب التلميذ للكفايات اللازمة، كالمشاكل العائلية والاضطرابات النفسية، فيساعده بتعاون مع الأسرة على ترميم الثغرات والتغلب على الصعوبات التي تواجهه.

- يعمل المدرس على تنويع الأداء الصفي بناء على مجموعة من الصيغ التربوية منها مثلا العمل بالمجموعات؛ حيث يقسم تلاميذ القسم إلى مجموعات، وذلك بتجميع كل مجموعة متقاربة الذكاء والقدرات في مجموعة عمل خاصة، ويحدد لكل مجموعة أنشطة وتمارين مناسبة لها. وتنجز كل مجموعة ما هو مطلوب منها، على أن تعمل المجموعات على الهدف نفسه. وغني عن البيان أن دينامية التطور المعرفي كما أكد «وليام دويس» Willem Doise و«ميجني جابريال» Mugny Gabriel و«نيلي» Anne Nelly، تكون أفضل داخل المجموعة، وذلك عن طريق الصراعات الاجتماعية المعرفية (Les conflits sociocognitifs)؛ ذلك أن تبادل وجهات النظر بين المشاركين وتصادمها، وتنسيق الجهود فيما بينهم يمكنهم من التطور المعرفي.

- تنجز أنشطة التصحيح في المجموعة بتعاون مع أعضائها. ويستثمر المدرس هذه الأنشطة في تشخيص أخطاء التلاميذ

الصفية التي يقوم بها المدرس . ومنها ما يلي:

- يقوم المدرس في بداية السنة الدراسية وبناء على معطيات روائز أول السنة ونتائجها، أو باعتماد نتائج التقويم التشخيصي في هذه الفترة، بفرز فئة التلاميذ التي تمتلك الكفايات اللازمة التي تتأسس عليها التعلّمات في المستويات الدراسية الحالية، وبين الفئة التي لم تكتسب بعد الكفايات الأساس، وتحتاج إلى برنامج خاص. ويكون هذا التضيء أوليا وقابلا للتغيير مع تقدم دروس المنهاج. ويتكلف بتوجيه تلاميذ الفئة الثانية نحو المجالات التي يحتاجون فيها إلى دعم، ويكلف الفئة الأولى بإنجاز تمارين لتوسيع مداركهم، وكل ذلك قبل إنجاز منهاج المستوى الدراسي الحالي.

- في فترة إرساء الموارد بالنسبة للمتعلّمين، والخاصة بمنهاج المستوى الدراسي الحالي، يراقب الأستاذ بانتظام وعن كثب تحصيل التلاميذ للتعرف على خصوصياتهم، والوقوف على الصعوبات التي تواجههم.

- مع إنجاز أول محك تربوي (فرض محروس) من السنة الدراسية، يستطيع الأستاذ تشخيص مواطن القوة ومكامن النقص والقصور في تحصيل التلاميذ، ويتمكن من ممارسة التفريق أو التمايز تبعا لذلك.

ويستحسن في هذه المرحلة أن يدخل

للمتفوقين، بينما ينتقي نصاباً قرائياً أكثر بساطة بالنسبة للتلاميذ المتعثرين، على أن تكون الأهداف موحدة. وإذا لاحظ المدرس أن فئة من التلاميذ لم تستوعب موضوعاً دراسياً معيناً بما فيه الكفاية، يمكن في هذه الحالة أن يتناول معها فقط عناصره الأساس، بينما يتناول عناصر الدرس كلها مع المتفوقين. ويمكن مثلاً أن يقترح على فريق من التلاميذ إنجاز تمارين بسيطة في مكون النحو مثلاً، في حين يقترح على البعض الآخر إنجاز تمارين أكثر تعقيداً.

ونشير في هذا السياق إلى أن المدرس لا ينبغي أن يتعامل مع الكتاب المدرسي ككتاب مقدس، بل يمكن أن يتصرف فيه بالإضافة والتعديل والإثراء، ويغير في محتوياته بحيث تستجيب لحاجيات المتعلمين، وتتسجم والكفايات الدراسية المنشودة. كما عليه أن يتخلى في إطار البيداغوجيا الفارقية عن منطق إنهاء البرامج الدراسية في نهاية السنة.

• التفريق عن طريق الأدوات والوسائل التعليمية:

يقصد بالوسائل التعليمية «جميع أنواع الوسائل التي تستخدم في العملية التعليمية لتسهيل اكتساب المعارف والمهارات وخلق المناخ الملائم لتنمية المواقف والاتجاهات وغرس القيم... وهي تضم الكتب المدرسية، والسيوريات بأنواعها، والنماذج والعينات والمجسمات، والخرائط واللوحات الحائطية، والشرائح، وأجهزة الإسقاط الخلفي وأجهزة

الفردية والجماعية، وفي وضع خطة للعلاج (Remediation). وفي هذا الصدد، يمكن اتباع المراحل الآتية لإنجاز تشخيص فعال:

* تصنيف الأخطاء، خصوصاً الشائعة منها، حسب طبيعتها.

* تحليل هذه الأصناف لتحديد أسبابها.

* وضع خطة علاجية لتدارك الأخطاء⁽⁶⁾

ويطلع المدرس المتعلمين بكل شفافية ووضوح بطبيعة أخطائهم، ونوع الصعوبات التي عليهم تجاوزها. ويخصص حصصاً للدعم والعلاج تبعاً للثغرات الملحوظة. ويكيف أنشطة التعديل تارة مع حاجيات المجموعة، وتارة أخرى وفق حاجيات كل متعلم على حدة.

- ولا مناص للمدرس في إطار تشغيله للبيداغوجيا الفارقية ميدانياً من ممارسة طرق التفريق البيداغوجي، حتى يكيف عملية التعلم مع حاجيات المتعلمين. ومن مظاهر التفريق ما يأتي:

• التفريق في المحتويات المعرفية: تستلزم البيداغوجيا الفارقية تنويع محتويات التعلم داخل الصف الواحد، لتكييفها مع القدرة الاستيعابية للمتعلمين وإيقاعهم التعليمي، من أجل اكتساب الكفايات الأساس. فمثلاً إذا لاحظ المدرس أن نصاباً قرائياً من نصوص المقرر يتسم بنوع من الصعوبة، يمكن أن يستثمره في الدرس فقط بالنسبة

التوضيحية والرسوم البيانية والخرائط (المطبوعات)، ومنهم من يتعلم بشكل أفضل عن طريق الممارسة الحسية الحركية (الحسحركيون) [مثل: إنجاز تجارب- القيام بزيارات ميدانية- الحركات].

فتنوع الوسائل التعليمية في الفعل التعليمي تبعاً لخصوصيات المتعلمين، من شأنه أن يرفع من مستوى أدائهم، ويحسن مستوى تحصيلهم الدراسي، ويساعد على تجاوز الصورة النمطية التي ظلت ولا تزال تطبع فصولنا الدراسية. فالصعوبات التي يعاني منها بعض التلاميذ في التعلم لا تعود إلى قصورهم الذهني أو المعرفي، بقدر ما تعود في كثير من الأحيان إلى تبني كثير من المدرسين طريقة أحادية في التدريس، والاقتصار على استعمال الوسائل التعليمية التقليدية.

• التفريق عن طريق الوضعيات التعليمية:

الوضعيات التعليمية هي وضعيات من تخطيط المدرس وإعداده، تتمحور حول المتعلمين. ويسعى المدرس في إطار البيداغوجيا الفارقية أن ينوع في الوضعيات التعليمية بما ينسجم مع مختلف الأنماط المعرفية للمتعلمين. فيمكن جعل التلميذ داخل وضعية الاستماع، أو وضعية البحث (البحث عن وثائق، أو وضعية مسألة)، أو وضعية تقويم تكويني، أو وضعية إنتاج شخصي أو جماعي...

الابيسكوب، والأفلام والراديو والتلفاز، وأشرطة الكاسيت وأشرطة الفيديو. كما يمكن اعتبار حجرة الدراسة والحديقة المدرسية والبيئة المحلية من الوسائل التعليمية»⁽⁷⁾.

ويقسمها الباحث آل ياسين إلى نوعين رئيسيين:

- الوسائل النظرية أو اللفظية، وتتضمن: الوصف، ضرب الأمثلة، القصص وسرد الحوادث، والتشبيه، والقياس.

- الوسائل الإيضاحية البصرية، وتدعى الوسائل المحسوسة أو الملموسة، مثل: الخرائط والرسوم والخطوط البيانية والسبورات...⁽⁸⁾

وتكتسي الوسائل التعليمية وبخاصة الوسائل المحسوسة أو الملموسة أهمية خاصة في العملية التعليمية لأنها تقرب المعاني من أذهان المتعلمين، وتساعدهم على التمثل والاستيعاب، وتوسع خبراتهم، وتعمل على إثارة انتباه المتعلم وتهيئته لاستقبال موضوع التعلم الجديد. كما أنها تضيف على التعلم طابعا مشوقا. والمدرس مطالب بتنوع الوسائل التعليمية لتنسجم مع الأنماط المختلفة للتعلم، لأن المتعلمين كما أكد «لا جاراندري» La Garanderie لا يستوعبون الدروس بالكيفية نفسها؛ فهناك من يستوعب الدرس عن طريق السمع (السمعيون) [إلقاء محاضرة مثلا]، ومنهم من يتعلم عن طريق الإدراك البصري (البصريون) [كالرسوم

ولا يفوتنا أن نشير في هذا المقام إلى أن البيداغوجيا الفارقية ليست نظاما مغلقا يضع قطعة مع باقي المقاربات البيداغوجية النشيطة، بل إنها تتفتح على عدد من البيداغوجيات، مثل: بيداغوجيا الأهداف، وبيداغوجيا الإدماج، وبيداغوجيا حل المشكلات، وبيداغوجيا الخطأ، وبيداغوجيا التحكم، وبيداغوجيا الاكتشاف، وبيداغوجيا التفتح واليقظة، وبيداغوجيا المجموعات، وبيداغوجيا المشروع، غيرها من البيداغوجيات التي يحفل بها ما يسمى «بالسوق البيداغوجية».

لذلك فالمدرس مطالب أثناء تشغيله لبيداغوجيا التفريق بعدم إغفال المقاربات البيداغوجية الأخرى، بحيث يختار الأنسب منها لنوعية المتعلمين وخصوصية وضعيات التعلم.

خاتمة

وفي نهاية المطاف، ينبغي التأكيد مجددا على أهمية تطبيق البيداغوجيا الفارقية في الفصل الدراسي، باعتبارها مطلبا أولويا، ورهانا أساسا للمرحلة الحالية، لما تسهم به من دور فعال ونصيب وافر في تحسين جودة التعليمات، والحد مما يمكن تسميته بالخسارة التربوية⁽⁹⁾، وإتاحة فرص جديدة لترجمة الطموحات الوطنية، بجعل التعليم قاطرة التنمية. وهو رهان مطلوب ومحمود، يمكن أن يكون بمبادرات من هيئة التدريس بالتنسيق مع الإدارة التربوية وأطر الإشراف

ويمكن أن يكون هذا التفريق حسب نمطين:

- 1 - التفريق المتتابع: أي التنوع في الوضعيات والأساليب مع أهداف مشتركة.
- 2 - التفريق المتزامن: أي التنوع في الأهداف والأنشطة حسب استعداد الفرد أو المجموعات.

• التفريق على مستوى تنظيم العمل المدرسي:

يقتضي العمل التربوي الفارقي إعادة تنظيم الفصل الدراسي؛ فتارة يتم الاشتغال مع القسم كله لبلوغ الأهداف التربوية نفسها، وقد يشتغل المدرس مع مجموعة كبيرة، ويمكن أن يتجه إلى مجموعة صغيرة، وقد يتجه إلى العمل الفردي.

• التفريق على مستوى التدبير الزمني:

يذهب البيداغوجيون ومنهم «كارول» إلى أن المتعلمين لا يتعلمون في المدة الزمنية نفسها، أي على الوتيرة نفسها، فكل واحد منهم يحتاج إلى نسبة معينة من التعلم قصيرة أو طويلة، وذلك وفق مكوناته ومكتسباته ومؤهلاته. لذلك فالمدرس مطالب بتوزيع الوقت اليومي والأسبوعي بشكل مرن ومتناغم مع مشروعه البيداغوجي، وعليه أن يضحى بجانب كبير من المحتويات الدراسية لتحقيق الكفايات المنشودة، لأن المتعلمين مطالبين باكتساب الكفايات اللازمة، والوقت لا يجب أن يكون عرقلة في هذا الاتجاه.

منها أو المستمر بالجانب العملي التطبيقي :
لتأهيله لمثل هذه الممارسات البيداغوجية.

هذا، وعلى الرغم مما قد يبدو من
صعوبات أجراً بيداغوجيا التفريق، فإننا
نعقد أنها مقاربة نشيطة وواعدة تستحق أن
تبذل لها الجهود الجماعية، لتوفير شروط
نجاحتها، ضمن بيئة بيداغوجية ملائمة
لواقع اجتماعي مغربي متنوع ومتعدد.

7- وزارة التربية الوطنية، الوسائل التعليمية، مرجع
عملي خاص بالطور الأول من التعليم الأساسي،
الرباط، مطبعة المعارف الحديثة، الطبعة الأولى
1998م، ص: 5.

8 - المبادئ الأساسية في طرق التدريس العامة، آل
ياسين محمد حسين، دار القلم، بيروت، 1974م،
ص: 255.

9 - يؤكد دومنيك شالفان أن النجاح البيداغوجية
تتناقص «مع مجموعة مكونة من تلاميذ ذوي مستويات
مختلفة؛ فإذا ما توجه المدرس إلى النبهاء منهم، فإن
الضعاف لا يفهمون أي شيء. أما إذا توجه إلى أضعف
التلاميذ، فإن النبهاء يشعرون بالملل. إذن فالجميع
خاسر». انظر: «طرق وأدوات التدريس والتكوين
»لدومنيك شالفان، ترجمة وتعريب: عبد الكريم
غريب، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء 2011م،
الطبعة الأولى، ص: 57.

التربوي، ودعم من بقية الفاعلين التربويين،
كما يمكن أن يكون رهانا مركزيا تبادر
إليه السلطات التعليمية الوصية بالدعم
والتشجيع، وتوفير الظروف الملائمة لعمل
المدرس، وفي مقدمتها تكريس استقلاليته
البيداغوجية وإبداعه، وتجديد تكوينه،
بحيث يصبح منسجما وموجها لا ناقلا
للمعلومات، وتعزيز مختلف تكويناته الأساس

الهوامش

1-Louis Legrand, La différenciation
Pédagogique, Paris scarabée, 1986, P.37.

2-Philippe Merrieu, Des savoirs différents, des
élèves différents-Arthaud,p.2.

3- تحليل العملية التعليمية، محمد الدريج، منشورات
الدراسات النفسية والتربوية، الرباط، 1983م،
ص: 62.

4- المراهق والعلاقات المدرسية، د أحمد أوزي، مطبعة
النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة،
2011م، ص: 104.

5-Louis Legrand, La différenciation

6 - Pédagogique, scarabée ,P.37

المقاربة بالكفايات - بناء المناهج وتخطيط التعلّمات -
عبد الرحمان التومي ومحمد ملوك، مطبوعات
الهلال، وجدة، الطبعة الأولى 2006م، ص: 108-109.